١- برنامج جُمل العلم السَّنة الأولىٰ، الكتاب السَّابع- الكويت - حصَّة الهاجري- ليلة الثُّلاثاء ١٦ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣٢هـ
٢- برنامج جُمل العلم السَّنة الأولىٰ، المسجد النبوي- مدينة رسول الله ﷺ ليلة الجمعة ١٠ جمادىٰ الآخرة ١٤٣٢هـ



تعليقات على
القَريضُ المُبْدَع نَظْمُ القَوَاعِدِ الأرْبَع
الشَّيخ صالح بن عبد اللّٰه العُصيمي

فرَّغها سالم بن محمَّد الجزائري

النُّسخة الإلكترونية الثَّانية

الشيخ لم يراجع التفريغ

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليك من كلِّ حولٍ وقوَّةٍ إلَّا بك وحدَك.

الحمد لله الدَّائم توفيقُه، المتواترِ عطاؤه وتسديدُه، وأشهدُ أنَّه هو الإلهُ الحقُّ المبينُ، لا إلٰه إلَّا الله العظيمُ الحليمُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا خاتَمُ النبيِّين ﷺ وعلى آله وصحبه والتَّابعين.

وبعد، فإنَّ هٰذا التَّفريغ هو دمجٌ لتعليقين للشَّيخ صالح بن عبد الله العُصيمي حفظه الله، معتمدًا على تعليقات (برنامج جمل العلم، بالكويت)، وما أضفته من برنامج جمل العلم: بالمسجد النبوي كان بين ((..)).

والشيخ حفظه الله لم يراجع هٰذا التفريغ فإن وجدتم ما يحتاج للمراجعة فراسلوني على البريد:

sallllm@gmail.com

والله أسأل الإخلاص في القول والعمل.

أخوكم سالم بن محمَّد الجزائري

٠١/ رجب/ ١٤٣٢هـ



السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمدُ لله الذي جعل مهمَّات الدِّيانة في جُمَل، والصَّلاةُ والسَّلامُ على عبده ورسوله محمَّدٍ قدوةِ العلمِ والعمل، وعلى آله وصحبه ومَن دينَه حَمَل.

أمَّا بعدُ..

فهٰـذا شَرْحُ (**الكتـاب السَّـابع**) مـن برنـامج (**جُمـل العلـم**) في سـنته الأولى (سـنة ١٤٣٢هــ) بدولتـهِ الأُولى دولةِ الكُويـت، وهـو كتـابُ «**القَـريضُ المُبْـدَعُ نَظْـمُ القَوَاعِـدِ الأرْبَـع**» لمعـدِّ البرنـامج صـالح بـن عبـد اللهِ بن حَمدٍ العُصيميّ.



قال النَّاظِمُ وَفَّقَهُ الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- الحَمْدُ لله عَلَى الإسْلام والسُّنَّةِ الغَرَّاءِ وَالإِنْعَام
٢- أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا هَدَى لِمَهْيَعِ التَّوْحِيدِ دَرْبِ السُّعَدَا
٣- هَادِيهِمُ فِيهِ هُوَ الْمُخْتَارُ مُحَمَّدٌ رَسُولُنَا الخِيَارُ
٤- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ وَالأَمْلاكُ وَسَلَّمُوا مَا دَارَتِ الأَفْلَاكُ
٥- وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الهُدَاةِ مَنْ أَحْرَزُوا الطَّرِيقَ لِلنَّجَاةِ
٦- وَبَعْدُ هَاكَ تُحْفَةً حَبَّرْتُها بِأَبْدَعِ الأَلْفَاظِ مَا طَوَّلْتُهَا
٧- مُرَجِّزًا مَا حَرَّرَ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ أُحْيِي بِهِ الإِسْلامُ
٨- فِي أَصْقُعٍ قَدْ أَنْتَنَتْ بِالشِّرْكِ حَتَّى غَدَتْ حَرِيَّةً بِالتَّرْكِ
٩- سُمِّى لَهُ لَاحَ القَرِيضُ المُبْدَعُ فِي دُرِّهِ تُجْلَى قَوَاعِدٌ أَرْبَعُ
١٠- مُلْتَزِمًا فِيهَا اتِّبَاعَ الأَصْلِ رَجَاءَ نَفْعِهَا بِيَومِ الفَصْلِ

((ابتدأ المصنِّف وفَّقه الله أرجوزته اللَّطيفة المسمَّاة «القريض المبدَع» بحمد الله ﷻ على نعم جليلة رأسها الإسلام ولزوم السُّنَّة، فإنَّهما من أجلِّ النِّعم السَّابغة على العبد، وفي ذلك قال أبو عمرو الداني في «منبِّهته»:

أَيَا رَبِّي لَكَ المِنَّه عَلَى الإِسْلَامِ وَالسُّنَّه
هُمَا وَالله بُرْهَانٌ أَنَّى نَدْخُلَ الجَنَّه

ثم ذكر بعد هاتين النِّعمتين اسم الإنعام الدَّال على العموم فقال: (وَالإِنْعَام) وهٰذا عطفٌ للعامِّ على الخاص وهو سائغ كعطف الخاص على العام، ثم كان أخصُّ حمده هو أولاه وهو حمد الله على هداية العبد لطريق التَّوحيد الذي هو (دَرْب السُّعَدَا)، ففي «الصَّحيح» من حديث أبي هريرة ﵁ أنَّه سأل النَّبيَّ ﷺ: من أسعد النَّاس بشفاعتك؟ فقال: «من قال: لا إلٰه إلا الله خالصًا من قلبه» فدلَّ ذلك أن (دَرْب السُّعَدَا) هو توحيد الله ﷻ، وكيف لا يكون كذلك و(هَادِيهِمُ فِيهِ) أي مرشدهم إليه (هُوَ الْمُخْتَارُ) من خلق الله وهو الصَّفوة المجتباة والرَّحمة المهداة (مُحَمَّدٌ) ﷺ الذي هو خيار من خيار، فهو أفضل الخلق وأكملهم وأعدلهم، ومعنى قوله: (مُحَمَّدٌ رَسُولُنَا الخِيَارُ) أي العدل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣]؛ أي عدولًا خيارًا، فوصف العدالة والخير وصفٌ عام للأمة كلِّها، وأعظمهم في ذلك مقاما هو محمد ﷺ، وأمدَّ صلاته على النبي ﷺ بمقدار دوران الأفلاك في أجرام السماء، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.



وألحق به في الصَّلاة والسَّلام الآل والأصحاب معلِّلا ذلك بقوله: (مَـنْ أَحْـرَزُوا الطَّرِيـقَ لِلنَّجَـاةِ) أي الـذين أدركوا ونالوا طريق النَّجاة ووقفوا عليها، ثم)) ذكر النَّاظمُ بعدَ حمْد الله ﷻ والصَّلاةِ والسَّلام عـلى النَّبـيِّ ﷺ أنَّ هٰذه المنظومة تحفةٌ محبَّرةٌ ((فقال: (وَبَعْدُ هَاكَ تُحْفَةً حَبَّرْتُهـا)))؛ أي مزيَّنـة، فـالتَّحبير ((هـو)) التَّـزيين، ((وذلـك التَّزيين واقعٌ)) (بِأبْدَعِ الأَلْفَاظِ) ((المنتخبة المناسِبة للمقام)) دون تطويلٍ، ((فإنَّ حقيقة البلاغة التَّعبير عـن المـراد بعبارة وافية وجيزة))، لأنَّ الاختصارَ من محاسِنِ المقاصد في التَّعليم ووضعُ هٰذه المنظومـة هـو جعلهـا عـلى بحـر الرَّجَز وهو المشار إليه بقوله:

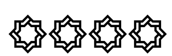
(مُرَجَّـــزًا مَـــا حَـــرَّرَ الإمَـــامُ مُحَمَّـــدٌ أُحْيِـــي بِـــهِ الإسْـــلامُ)

أي أنَّني قد جعلتُ ما ألَّفه إمامُ الدَّعوة محمَّد بـن عبـد الوهَّـاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعـالى في رسـالته المعرُوفـة بــ«**القواعـد الأربـع**» مصيَّرًا على بحر الرَّجز من الشِّعر، وبحرُ الرَّجَـز مـن البُحـور المعروفـة عنـد الشُّـعراء، وفي ضـبطه قـال الهاشميُّ:

وَالرَّجَـــزُ البَـــادِي لَنَـــا ثَنَـــاؤُهُ مُسْــتَفْعِلًا سِــتًّا تُــرَى أَجْــزَاؤُهُ

وهٰذه الأرجوزة أصلُها المنثور هو «القواعد الأربع» كما تقـدَّم، وصـاحبُ القواعـد الأربـع هـو إمـام الـدَّعوة ((الإصلاحيَّة في جزيرة العرب في القرن الثَّاني عشر)) محمَّد بن عبد الوهاب بن سُليمان التَّميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الذي أحيا به اللهُ ﷻ الإسلامَ ((والسُّـنة)) في بـلادٍ كانـت قـد مُلئـت بالشِّــرك (حَتَّـى غَـدَتْ حَرِيَّـةً) ((أي حقيقـةً)) (بِالتَّرْكِ)؛ أي بالهجرة منها لغلبة حال الشِّـرك عليها، وهٰذا شيءٌ لا يجحـده مـؤرِّخٌ مُنْصِـف، فـإنَّ مـن رأى نقلـة الأخبار في أحوال التَّواريخ في تلك البلاد خاصَّة عرف مقدار ما كانوا عليه ممَّا وقعوا فيه مِنَ التَّعلُّق بـالقبور كقـبر زيد بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في «الجُبَيْلة» ((الذي كـان النَّـاس يسـتغيثون بـه ويدعونـه مـن دون الله)) والتَّعلُّـق بنخلـة ((معروفة في بلدة)) منفوحة؛ وهي نخلة طويلةٌ كانت النِّساء اللَّواتي لا يُولد لهنَّ يأتين إليها فيسألنها المـدد بالولـد ((ويتقرب النَّاس عندها بأنواع القُرب البدعيَّة)).. إلى آخر ما كانوا عليه من أحوال مخالفةٍ للشَّـرع، فأحيا الله ﷻ به الإسلام، وألَّف في ذلك تآليف نافعة، منها رسالة «القواعد الأربـع» التـي نُظِمـت في هٰـذه الأرجـوزة المسـمَّاة بـ(**القريض المبدَع**) ((ذكر اسم نظمه فقال (سُمَّى لَهُ) أي اسمًا له؛ وهو لغـة في الاسـم، (لَاحَ) أي بَـانَ (القَـرِيضُ المُبْدَعُ) أي النَّظم المبدَع (فِي دُرِّهِ تُـجْلَى قَوَاعِدُ أَرْبَعُ) أي تُبدَّى وتُظْهَر أربع قواعد (مُلْتَزِمًـا فِيهَـا اتِّبَـاعَ الأَصْـلِ))) والتزم فيها ناظمها اتباع الأصل ((وهي الرِّسالة السَّابق ذكرها)) فيما ذكره مصنِّفُه (رَجَـاءَ نَفْعِهَـا بِيَـومِ الفَصْـلِ) يعني يوم القيامة. ((فإنَّ المصنِّفين إنَّما يصنِّفون رجاء الثَّواب والأجر لا طلب المديحة والـذِّكر، فـإنَّ مَدِيحـة الخلـق تزول، ولٰـكِـن شكر الرَّبِّ ﷻ عبادَه يدوم ولا يـزول، فنسـأله ﷻ أن يجعـل سـعينا وسـعيكم مشـكورًا وعملنـا وعملكم مبرورًا)).






سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

قال النَّاظِمُ وَفَّقَهُ الله:

فَصْلٌ

١١- وَمِلـةُ التَّوحِيـدِ نَصًّـا تُنسَـبُ   إلى الخَلِيـلِ جَـدِّنَا وَتُعْـرَبُ
١٢- أَنْ تَلْـزَمَ الإِفْـرَادَ بِالتَّمْجِيـدِ   للهِ رَبِّ العَـرْشِ وَالعَبِيـدِ
١٣- فَتَعْبُـدَ الإِلَـهَ بِـالإِخْلاصِ   مُسْتَمْسِـكًا بِعُـرْوَةِ الخَـلاصِ
١٤- لأَجْـلِ ذَا ابْـرَاهِيمُ بِـالحَنِيفِ   مُلَقَّـبٌ مَـعْ تَـابعٍ شَرِيـفِ
١٥- وَقَولُـهُ (وَمَـا خَلَقْـتُ الجِـنَّ)   الآيَـةَ التَّعْلِيـلُ جَـاءَ مَنَّـا
١٦- مُبَيِّنًـا لِلْحِكْمَـةِ الشَّـرْعِيَّهْ   مِـنْ خَلْقِنَـا وَالـجَعْلِ لِلْذُّرِيَّـهْ
١٧- أَنْ نَعْبُـدَ الـرَّحْمَنَ بِالخُضُـوعِ   وَحُبِّـهِ والسِّـرُّ فِي المَجْمُـوعِ
١٨- وَكُـلُّ عَامِـلٍ مَـعَ الإِشْرَاكِ   فَـأَمْرُهُ رَدٌّ وَغَـيرُ زَاكِـي
١٩- فَمَـنْ بِرَبِّنَـا العَظِـيمِ يُشْـرِكُ   مُقَـبَّحٌ وَذَنْبُـهُ لا يُـتْرَكُ
٢٠- وَالحُكْـمُ فِي القُـرْآنِ أَنَّ اللهَ   لا يَغْفِـرُ الإِشْرَاكَ كُـنْ أَوَّاهَـا

ذكر النَّاظم في هٰذا الفَصْل أنَّ ملَّة التَّوحِيدِ (((نَصًّا تُنْسَبُ) أي في الكتَاب والسُّنَّة)) نُسِبتْ إلى جـدِّنا إبـراهيمَ الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (((وَتُعْرَبُ) أي تُبيَّن وتظهر)) فشُهِر تلقيبُها بملَّة إبراهيم، واستفاض ذلك في الكتاب والسُّنَّة، ونسبتُها إلى إبراهيم دون غيره لا تعني اختصاصه بها، بل هي ملَّة الأنبياء جميعًا إلَّا أنَّ موجب تخصيصه بالذِّكر أنَّ العرب كانت تنتسب إليه، وتزعمُ أنَّها على ميراثه في دينه، فإرغامًا لأُنوفهم وإلزامًا لهم في الحجَّةِ وإفحامًا لمقالتهم الكاذبة نُودوا بالأمر بالتزام ما كان عليه جدُّهم الذي إليه ينتسبون؛ وهو إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فهو أبو العرب جميعًا وإليه يرجعون، سواءٌ القبائل العدنانيَّة أو القبائل القحطانيَّة، كما تقدَّم ذكره في درس الفجر، وإليه أشرتُ بقولي في «معاقدِ الأنساب»:

وَانْسُـبْ جَمِيـعَ الْعُـرْبِ للـذَّبِيحِ   عَـدْنَانَ أَوْ قَحْطَـانَ فِي الصَّـحِيحِ
وَهـوَ أَبُـو قَحْطَـانَ فِي قَـوْلِ عَـلِيّ   دَلِيلُـهُ عِنْـدَ البُخَـارِي مُـنْجَلِي

فالقبائل العدنانيَّة والقحطانية كلُّها ترجع إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فأبوهم هو إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وحقيقة ملَّته هو إفراد الله تَعَالَى بالتَّوحيد، وهٰذا معنى قوله:

(أَنْ تَلْـزَمَ الإِفْـرَادَ بِالتَّمْجِيـدِ   للهِ رَبِّ العَـرْشِ وَالعَبِيـدِ
فَتَعْبُـدَ الإِلَـهَ بِـالإِخْلاصِ   مُسْتَمْسِـكًا بِعُـرْوَةِ الخَـلاصِ)

أي بالعروةِ التي تُنجيك وتخلِّصُك، ((**والإخلاص شرعًا تصفية القلب من إرادة غير الله**،)) وتقدَّم أنَّ **العُروة**



اسمٌ لما يُستمسك ويُتعلَّقُ به. وعُروة الخلاص هي العروة الوُثقى، ووُصفت بالوُثقى إشارةً إلى قوَّتها، فإنَّ الوُثقى تأنيثُ الأوثق؛ يعني الأقوى، ولأجل هٰذا لُقِّبَ إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالحنِيف، ولُقِّب أتباعُه من الأنبياء وأممهم بالحُنفاء، فالحنيفيَّة **حقيقتها شرعًا الإقبال على الله مع الميل عمَّا سواه**، أو الميل عن ما سواه الله بالإقبال عليه، أيُّهم؟

الميْلُ عن ما سوى الله بالإقبال على الله، لماذا؟

الحنَفُ أصله الميل أو أصله الإقبال؟ (الْـحَنَفُ) أصله في لسان العرب: الإقبال، وليس الميل، سُمِّيَ الرَّجُل حنيفًا؛ لأنه أقبلت إحدى قدميه على الأخرى، وتفسيره بالميل تفسيرٌ للَّفظ بلازمه، ومن طرائق متأخِّري أهل اللِّسان تفسيرهم اللفظ بلازمه لا بما وُضع له لغة، ولذلك أمثلة:

منها (الذَّبح)، ما هو الذَّبح؟ قالوا: سَفْكُ الدَّم. وليس هٰذا هو الذَّبح، هٰذا لازم الذَّبح، الذَّبح هو قطْع المريء والحُلقوم، فلا يكون ذبحًا فلا يكون ذبحًا، إلَّا إذا وُجد هٰذا المعنى، فلو سُفِك الدَّمُ بجَرْح بهيمة الأنعام من جنبها فوقعت وسُفِك دمُها لم يسمَّ هٰذا ذبحًا، فالذي يفسِّره بسفك الدَّم تفسيره باللَّازم.

ومثلا تفسير (الرَّب) بأنَّه المعبود، لا يوجد في كلام العرب: الرَّب بمعنى المعبود في أصح قولي أهل اللُّغة، وتفسيرُه بذلك تفسيرٌ باللَّازم.

ومن هٰذا الجنس تفسير الحنفي بأنَّ الحنف هو الميل، هٰذا تفسير باللَّازم، وإنَّما الحنَفُ هو الإقبال.

فيكون الحنيف والحنيفيَّة شرعًا هي **الإقبالُ على الله والميل عمَّا سواه**.

((فإنَّ الله ﷻ جعل لقلب الحنيف شعارًا على إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم أمر النَّبي ﷺ وأتباعه أن يتبعوه كما قال تعالى: ﴿﴾ الآية، ومن دقائق التَّصرُّف القرآني أنَّ اسم الحنيف حيث وقع في القرآن فإنَّه يجيء منصوبًا، ولم يأت في القرآن مرفوعًا ولا مخفوضًا، لماذا؟

لأنَّ باب المنصوبات من الأسماء عُظْمُه المفعولية، فإنَّ في المنصوبات خمسةَ مفعولاتٍ ففي المجيء بلقب (الحنيف) منصوبًا إغراء بامتثالها ولزوم لها، فإنَّ باب الإغراء مما يفيد النَّصب عند النُّحاة، فأُشير إلى هٰذا المعنى بمثل هٰذا التَّصرف القرآني)).

ثم أورد الاستدلالَ بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[الذَّاريات] موردًا لها على وجه الاقتباس، فإنَّ **الاقتباسَ عند علماء البديع هو أن يُضمَّنَ الكلامُ منثورًا أو منظومًا شيئًا من القرآن أو من سنَّة النَّبيِّ ﷺ**، كما قال الأخضري في «الجوهر المكنون»:

وَالاقْتِبَـاسُ أَنْ يُضَـمَّنَ الْكَـلَامْ قُرَانًـا أَوْ حَـدِيثَ سَـيِّدِ الأَنَـامْ

وهٰذا تضمينٌ للقُرآن في قوله: (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ) إشارةً إلى قولـه تعـالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ



﴿٥٦﴾ وقوله: (الآيَةَ) يعني إلى تمام الآية ((اقرأ الآية، فإنَّ هٰذه الكلمة التي توضع بعد ذكر طرف آيـة أو حـديث تجيء على ثلاثة أوجه، أحسنها النَّصب، أي اقرأ الآية أو أكمل الآية))، وقوله: (التَّعْلِيلُ جَاءَ مَنَّا) يعنـي في قولـه تعالى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ عُلِّلَ خلقُهم على وجه الامتنان عليه لأنَّ المقصود من خلقهم أن يعبدوا اللهَ ﷻ، فهـي حكمـة خَلْقِ الخلق، وهٰذه الحكمة الشَّرعية، فإنَّ اللهَ ﷻ خلقَ الخلق لأجل عبادته ((فمنفعة عبـادة الله هـي للمخلـوق لا للخالق، فإنَّ من المنَّة الإلهية والتَّوفيق لك أن يجعلك الله ﷻ عبدا له، وإلى هٰذا أشار القاضي عيـاض اليَحصـبي في قوله:

وَمِمَّـــا زَادَنِي شَرَفًـــا وَتِيهًـــا   وَكِـدْتُ بِأَخْمُصِـــي أَطَـأُ الثُّرَيَّـا
دُخُـولِي تَحْـتَ قَوْلِـكَ يَـا عِبَـادِي   وَأَنْ صَـــيَّرْتَ لِي أَحْمَـــدَ نَبِيَّـــا

فمن مفاخر الإنسـانيَّة مرتبـة العبوديَّـة، وهٰـذا التَّعليـل للآيـة في قولـه تعـالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ يبـيِّن الحكمـة الشَّـرعيَّة من خلقنا، فإنَّ الله ﷻ خلقنا لأجل عبادته، وجعَل الذُّرِّية منا ابتغاء القيـام بهـذه الوظيفـة التـي خلقنـا لها))، ثمَّ بيَّن حقيقة العبادة، فقال:

(أَنْ نَعْبُـدَ الـرَّحْمَنَ بِالْخُضُـوعِ   وَحُبِّـهِ والسِّـرُّ فِي الْمَجْمُـوعِ)

فصارت **العبادة** الحبُّ والخضوع كما قدَّمنا هي **امتثال خطاب الشَّـرع الـمُقترن بالحبِّ والخضوع**، أو بالحـبِّ والذُّل، لماذا الذُّل استبعد؟ لأمرين:

أحدهما اقتفاءً للخطاب الشَّرعي، ولم يأتِ الذُّل؛ لأنَّ الذُّلَّ لا يُتعبَّد اللهُ ﷻ به، وإنَّما يُتعبَّد بالخُضُوع، فالذُّل كوني قدري، والخضوع دينيٌّ شرعيٌّ، وهو وارد في النُّصوص.

والثَّاني أنَّ الذُّل يشتمل على القهر والإجبار، فقلبُ الذَّليل فارغٌ من الإقبال على معظَّمه، وهٰذا المعنى لا يوجد في العبادة، والعبادة سرُّها الإقبال.

فالمقدَّم هو الخضوعُ لا الذُّل، كما تقدَّم بسْطُه في مجلسٍ آخرَ.

((فإنَّ القلب المشتمل على الحبِّ وحدَه تزلّ قدم صاحبه عن كمال العبادة، والقلب المقتصر على الخضوع تزلّ قدم صاحبه عن العبادة، فلا يتحقَّق كمالها إلَّا باجتماع الحب والخضوع لله ﷻ))

ثم بيَّن أنَّ:

(وَكُـلُّ عَامِـلٍ مَـعَ الإِشْرَاكِ   فَــأَمْرُهُ رَدٌّ وَغَــيرُ زَاكِــي)

(((وَكُلُّ عَامِلٍ مَعَ الإِشْرَاكِ) كل عامل يعمل عملًا مع وجود الشِّرك (فَأَمْرُهُ رَدٌّ))) يعني أنَّ أمرَه في عباداته غير مقبول (وَغَيرُ زَاكِي) يعني: لا ينمو ولا يُقبل منه، فالزَّكاء هو النَّماء. ((فلَا ثواب له، لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ



لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥]، أي يسقط ويُردُّ ولا يحسب لك)).

ثم قال:

(فَمَـنْ بِرَبِّنَـا العَظِـيمِ يُشْـرِكُ مُقَـبَّحٌ وَذَنْبُـهُ لا يُـتْرَكُ
وَالحُكْـمُ فِي القُـرْآنِ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِـرُ الإِشْرَاكَ كُـنْ أَوَّاهَـا)

((وإنَّما كان مقبَّحًا لأنَّ الشِّرك سوء أدب مع الرُّبوبيَّة، وإخلال بواجب الألوهية؛ فأيُّ قُبح أعظم من هٰذا القُبح أن يخلقك الله ﷻ وينعم عليك، ثم تقع في الشِّرك فيه ولشناعة هٰذا الذَّنب وبشاعته فإنَّه لا يغفر، وهذا معنى قوله: (وَذَنْبُهُ لا يُتْرَكُ))) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[النِّساء:٤٨ و١١٦]، وعدمُ مغفرة الشِّرك تعمُّ الشِّركَ كُلَّهُ، أكبرَه وأصغرَه، لأنَّ المصدرَ المسبوك من (أن) المصدريَّة مع الفعل المضارع تقديرُه (شركًا)، فيصيرُ سياق الكلام (إنَّ الله لا يغفر شركًا به) وتكون كلمة (شركًا) نكرةٌ في سياق النَّفي (إنَّ الله لا يغفر شركًا به) نكرةٌ في سياق النَّفي، والنَّكرات في سياق النَّفي تفيدُ العموم فتعمُّ الشِّرك الأكبر والأصغر؛ أنَّ اللهَ ﷻ لا يغفره للعبد.

(((كُنْ أَوَّاهَا) أي كن رجَّاعًا إلى الله ﷻ بما يحبُّه ويرضاه)).

۞۞۞۞



قال النَّاظِمُ وَفّقَهُ الله:

القَاعِدَةُ الأُولَى

٢١- إِنَّ الَّــذِينَ كَــانَ فِــيهِمْ أَحْمَـدُ ... هُــمْ أَيْقَنُــوا بِــالله رَبًّــا يُوجِـدُ
٢٢- فَعِنْـدَهُمْ مَــا غَــيرُهُ خَــلَّاقُ ... لَــهُ الأُمُــورُ وَحْــدَهُ الــرَّزَّاقُ
٢٣- وَإِنْ تَكُـنْ مُنَاشِـدًا فِي جَمْعِهِـمْ ... وَسَــائِلًا لإِنْسِــهِمْ وَجِــنِّهِمْ
٢٤- مَـنْ أَتْقَـنَ الأَكْـوَانَ فِي اتِّسَـاقِ ... وَأَطْعَـمَ المَكْنُــونَ فِي الأَعْــمَاقِ
٢٥- قَــالُوا جَمِيعًــا دُونَــمَا اخْـتِلافِ ... الله رَبُّ الحَــــيِّ وَالأَسْــــلافِ
٢٦- لَكِـنَّهُمْ لَمْ يَـدْخُلُوا الإِسْـلامَا ... بِقَــولِهِمْ وَلا غَــدَوْا حَرَامَــا

بيَّن النَّاظم في هٰذه القاعدة أنَّ من بُعث فيهم النَّبيُّ ﷺ كانوا يُقرُّون بربوبيَّةِ الله ﷻ ((وأشار باسمه الآخر (أَحْمَدُ)))، وهم يعتقدون أنَّه الخالقُ الرَّازقُ المدبِّرُ ((بل الأمر كما قال:

(فَعِنْـدَهُمْ مَــا غَــيرُهُ خَــلَّاقُ ... لَــهُ الأُمُــورُ وَحْــدَهُ الــرَّزَّاقُ)

وهٰذا الأمر أوجب في نفوسهم الإقرار بربوبيته ﷻ وإليه أشار النَّاظم بقوله:

(وَإِنْ تَكُــنْ مُنَاشِــدًا فِي جَمْعِهِــمْ ... وَسَــائِلًا لإِنْسِــهِمْ وَجِــنِّهِمْ)))

فلو أنَّ المرءَ نَاشدَهم سائلًا:

(مَـنْ أَتْقَـنَ الأَكْـوَانَ فِي اتِّسَـاقِ ... وَأَطْعَــمَ المَكْنُــونَ فِي الأَعْــمَاقِ)

(المَكْنُونَ) يعني المخفيَّ.

(قَــالُوا جَمِيعًــا دُونَــمَا اخْـتِلافِ ... الله رَبُّ الحَــــيِّ وَالأَسْــــلافِ)

((أي ربُّ الأحياء الموجودين، ورب الأسلاف الماضين)) فهم مُقرُّون بأفعال الرُّبوبية كلِّها ((وإقرارهم بها ممَّا مُلِئ بـه القـرآن الكـريم في آيـات كثـيرة كقولـه تعـالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان:٢٥]، فهم مقرُّون بأنَّ الله ﷻ هو الخالق الرَّزَّاق لأنَّ الفطرة تضطرُّهم إلى ذلـك، فـالفطرة المركـوزة في النُّفوس المقترنة بالنَّظر إلى ما حول العبد تُفضي إلى إقراره بربوبيَّة الله ﷻ، فقد سئل أعرابيٌّ: هل تعرفُ الله؟ فقـال: نعم. فقيل له: بم عرفته؟ فقال بلسان الأعراب: البعرة تدلُّ على البعير، والأثر يدلُّ على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وبحارٌ ذات أمواج، وأراضٍ ذات فجاج، ألَا تدلُّ على الواحد القهَّار ﷻ، وفي ذلك قال الشَّاعر[1]:

(١) قاله أبو نواس انظر معارج القبول (١/ ١٣٥-١٣٦).



تَأَمَّـــــــلْ فِي نَبَـــــــاتِ الأَرْضِ　　وَانْظُـرْ إِلَى آثَـارِ مَـا صَـنَعَ الـمَلِيكُ
عُيُـونٌ مِـنْ لُجَـيْنٍ شَاخِصَـاتٌ　　بِأَحْـدَاقٍ هِـيَ الـذَّهَبُ السَّـبِيكُ
عَـلَى كُتُـبِ الزَّبَرْجَـدِ شَـاهِدَاتٌ　　بِـــأَنَّ اللهَ لَـــيْسَ لَـــهُ شَرِيـــكٌ

فمن أطلق نظره وأعمل فكره في ملكوت الكون أقرَّ بـأنَّ الله ﷻ له الرُّبوبيَّة وحده، فهو الخالق الرَّازق المالك المدبِّر، وكان أهل الجاهلية مقرون بهذا إقرارًا إجماليًّا لا تفصيليًا، ومع وجود هٰذا الإقرار فإنَّه لم يثمر لهم الدُّخولَ في الإسلام ولا حرمت أموالهم ولا دماؤهم ولا أعراضهم، وهٰذا معنى قول النَّاظم)) :

لَكِــنَّهُمْ لَمْ يَــدْخُلُوا الإِسْــلامَا　　بِقَـــولِهِمْ وَلا غَـــدَوْا حَرَامَـــا)

يعني لم تثبت لهم حُرمة الدَّم والمال والعِرْض، فإقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يُوجب لهم الدُّخولَ في الإسلام، فإنَّ إقرار المشركين بالرُّبوبية يفارق إقرار الموحِّدين بالرُّبوبيَّة من وجهين:

أحدُهما أنَّ إقرار الموحِّدين كلِّيٌّ عامٌّ لا يتخلَّفُ منها فردٌ من الأفراد، وأمَّا توحيد المشركين في الرُّبوبيَّة فيقع منه فوتُ بعض أفرادها فلا يؤمنون بها، ((فتوحيد الموحدِّين تفصيلي وتوحيد المشركين إجمالي)).

والثَّاني أنَّ توحيد الموحِّدين في الرُّبوبيَّة خالٍ من الاعتقاد المخالف للحقِّ، وأمَّا توحيدُ المشركِين في الرُّبوبيَّة ففيه ما يخالف الاعتقاد الحقَّ فيها.

والفرقُ بينهما أنَّ المشركين في النَّوع الأوَّل يفوتهم أفرادٌ لا يؤمنون بها.

وفي النَّوع الثَّاني يُدخلون في الرُّبوبيَّة ما ليس منها، فيعتقدون أشياءَ على خلاف ما جاء بها الشَّرع، ولهٰذا إذا سأل سائلٌ: كيف يقال: إنَّ المشركين يؤمنون بتوحيد الرُّبوبيَّة مع أنَّ فيهم إنكار البعث؟

والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما أن إنكار البعث في بعضهم لا كلِّهم، فإنَّ فيهم من مُثْبِتَة البعث جماعة، ففي شعر أميَّة بن أبي الصَّلت وغيره ما يدلُّ على ذلك.

والثَّاني أنَّ فَوْتَ فردٍ من أفراد توحيد الرُّبوبيَّة منهم لا يقتضي كفرهم بتوحيد الرُّبوبيَّة كلِّه على ما تقدَّم من لُحوق النَّقص فيهم من الوجهين اللَّذين تقدَّم ذكرهما في الفرق بين توحيد المؤمنين وتوحيد المشركين في الرُّبوبيَّة.





قال النَّاظِمُ وَفَّقَهُ الله:

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

٢٧- وَمِـنْ مَقَـالِهِمْ لأَجْـلِ القُرْبَـةِ ... شَـــفَاعَةٍ تَوَجَّهُـــوا فِي الإِرْبَـــةِ
٢٨- لِيَحْصُــلَ الإِدْرَاكُ لِلمَرَاتِــبِ ... وَالــدَّفْعُ لِـــلأَضْرَارِ وَالمَعَايِـــبِ
٢٩- وَقَـدْ أَتَـى فِي وَحْيِنَـا القُـرْآنِي ... شَـفَاعَةٌ حُـدَّتْ مَـعَ البُرْهَـانِ
٣٠- بِأَنَّهَـا نَوْعَـانِ مِنهـا المَنْفِـي ... وَمُثْبَـتٌ مِنهَـا بِغَـيرِ حَـرْفِ
٣١- فَـالأَوَّلُ المَنْفِـي عَـنِ الكُفَّـارِ ... الخَالِـــدِينَ أَبَـــدًا فِي النَّـــارِ
٣٢- وَالــمُثْبَتُ الله بِــهِ تَفَضَّـلَا ... عَـلَى مُشَـفَّعٍ ومَشْـفُوعٍ تَـلَا
٣٣- بِشَــرْطِهِ الَّـذِي أَتَـى صَرِيحَـا ... عَـنْ رَبِّنَـا حَتَّـى بَـدَا فَصِيحَا

ذكر النَّاظمُ في (**القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ**) أنَّ المشركين ((الأوَّلين)) زعموا أنَّهم اتَّخذوا شركاء من دون الله ﷻ لأجل أمرين:

أحدُهما: تحصيلُ القُربة.

والثَّاني: تحصيلُ الشَّفاعة.

وهٰذا معنى قوله:

(وَمِـنْ مَقَـالِهِمْ لأَجْـلِ القُرْبَـةِ ... شَـــفَاعَةٍ تَوَجَّهُـــوا فِي الإِرْبَـــةِ)

يعني في حاجاتهم، ((ومقصودهم من ذلك رِفعة الدَّرجات ودفع المضرَّات، وخذا معنى قوله:))

(لِيَحْصُــلَ الإِدْرَاكُ لِلمَرَاتِــبِ ... وَالــدَّفْعُ لِـــلأَضْرَارِ وَالمَعَايِـــبِ).

ثم بيَّن أنَّ الله ﷻ ذكر في القرآن أنَّ الشَّفاعة على نوعين:

أحدُهما: الشَّفاعة المنفيَّة.

والآخر الشَّفاعة المثبتة.

فالشَّفاعة المُثبتة هي الشَّفاعة المشتملة على إذن الله ورضاه.

والشَّفاعة المنفيَّة هي الخالية من إذن الله ورِضاه.

وهٰذا معنى قولِ النَّاظم:

(بِشَــرْطِهِ الَّـذِي أَتَـى صَرِيحَـا ... عَـنْ رَبِّنَـا حَتَّـى بَـدَا فَصِيحَا)

كما قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ ﴾ [النَّجم]، فإذا أذِن اللهُ ورضِيَ عن الشَّافع والمشفوع وقعت الشَّفاعة الـمُـثبتة.



والشَّفاعة المنفيَّة من أفرادها الشَّفاعة للكفَّار فإنَّ الشَّفاعة منفيَّة عنهم كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدثر].

((وما يكون في القرآن على وجهين فمن المقطوع به أنَّ أحدهما يصدِّق الآخر ولا يخالفه فالتَّأليف بين الشَّفاعة المنفيَّة والمثبتة ما ذكره بقوله:

(فَالأَوَّلُ المَنْفِي عَنِ الكُفَّارِ   الخَالِدِينَ أَبَدًا فِي النَّارِ
وَالمُثْبَتُ اللهُ بِهِ تَفَضَّلَا   عَلَى مُشَفَّعٍ ومَشْفُوعٍ تَلَا
بِشَرْطِهِ الَّذِي أَتَى صَرِيحًا   عَنْ رَبِّنَا حتَّى بَدَا فَصِيحًا)

ومعنى قوله: (بِشَرْطِهِ الَّذِي أَتَى صَرِيحًا) أي بيِّنًا (عَنْ رَبِّنا حتَّى بَدَا فَصِيحًا) أي ظاهرا. لقوله تعالى في ألاية السَّابقة ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ فشرطا الشَّفاعة الإذن والرِّضا عن الشَّافع والمشفوع، فمتى وجد هذان الشَّرطان حلَّت الشَّفاعة لأهلها، والشَّفاعة المذكورة هنا المراد بها هنا الشَّفاعة عند الله ﷻ في الآخرة وحقيقتها الشَّرعية **سؤال الشَّافع الله حصول نفع للمشفوع له. والنفع المطلوب حصوله نوعان:**

أحدهما: جلب خير.

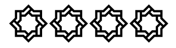
والآخر: جلب ضر.))

فإن قيل: فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يشفع لعمِّه وهو كافرٌ، فكيف تُنفى الشَّفاعةُ عن الكافِرينَ، ثم يقعُ منه ﷺ الشَّفاعة لعمِّه أبي طالب وهو كافر، ما الجواب؟

ذكرنا فيما سلف أنَّ هٰذا يُجاب عنه بوجهين:

أحدهما أنَّ ما يقع من شفاعة النَّبي ﷺ لعمِّه أبي طالب لا يعود على القاعدة الكلِّيَّة بالإبطال؛ لأنَّه فرد مخصوصٌ، وتخلُّف فردٍ أو أفرادٍ من الكُلِّيَّة لا يقدح في كلِّيتها، كما بسطه الشَّاطبي في «الموافقات»، فإذا قُدِّر أنَّ فردًا واحدًا من الكفَّار كلِّهم وقعت له الشَّفاعة لم يقدح في كلِّيَّةِ أنَّ الكفَّار لا يُشفع لهم؛ بل الشَّفاعة منفيَّةٌ عنهم.

والثَّاني أنَّ الذي وقع من النَّبيِّ ﷺ لعمِّه ليس قطعُ العذابِ عنه، وإنَّما تخفيفُ العذابِ عن عمِّه، فإنَّه نُقل من قعر جهنَّم إلى ضحضاحٍ من النَّار، فلم يكن ذكرُ شفاعةِ أبي طالبٍ الَّتي للنَّبيِّ ﷺ فيه مخالفًا للقاعدة الكُلِّيَّة أنَّ شفاعةَ النَّبيِّ ﷺ وغيره من الشُّفعاء لا تكون للكفَّار.






سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

قال النَّاظِمُ وَفَّقَهُ الله:

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

٣٤- وَاخْتَلَفُوا فِي دِينِهِمْ مَنْ عَبَدَا … كَوَاكِبًا وَمِنْهُمُ مَنْ قَصَدَا
٣٥- عِبَادَةَ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ … أَوِ النَّبِيِّينَ مَعَ الأَخْيَارِ
٣٦- وَسَاجِدٌ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ … أَوْ نَجْمَةٍ رَجَاءَ دَفْعِ الضَّرَرِ
٣٧- وَغَيْرُهُمْ فِي زُمْرَةِ الأَنْوَاكِ … مُعَظِّمٌ لِلرُّوحِ وَالأَمْلاكِ
٣٨- فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ نَبِيُّنَا … وَقَاتَلَ الأَشْرَارَ لَمَّا بَيَّنَا

ذكر النَّاظمُ في هٰذه (**القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ**) أنَّ حال المشركين عند بعثةِ النَّبيِّ ﷺ في أديانهم مختلفةٌ:

فمنهم من كان يعبدُ الكواكب.

ومنهم من كان يعبد الأشجار والأحجار.

ومنهم من كان يعبد النبيِّين والصَّالحين.

ومنهم من كان يعبد الشَّمس والقمر والنُّجوم.

((فأديانهم متعدِّدة)) وجملة هٰذه المعبودات نوعان:

أحدهما: معبودات سماوية سوى الله.

والآخر: معبودات أرضيَّة.

والله لا يكون في الأرض، ولذلك من الغلط قولهم: معبودات أرضية سوى الله، وإنَّما معبودات سماويَّة سوى الله.

فالمعبودات السَّماوية مثل الأفلاك والملائكة، والمعبودات الأرضيَّة مثل الأشجار والأحجار والصَّالحين من أهلها، ولذلك قال أبو العبَّاس ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى: (أوَّلُ شركٍ أرضيٍّ أحدثه قوم نوح، وأوَّل شركٍ سماوي أحدثه قوم إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لأنَّهم عبدوا الأفلاك والأجرام من دون الله ﷻ، ومع اختلاف عبادات هؤلاء فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يفرِّق بينهُم؛ لأنَّ النَّظرَ ليس إلى المعبود؛ بل النَّظرُ إلى العبادة، والعبادة امتثالُ خطاب الشَّرع المقترن بالحبِّ والخضوع، فإذا جُعل من هٰذه الحقيقة شيءٌ لغير الله ﷻ فذلك شركٌ كائنًا من كان ذلك الغير الذي صُرف له شيءٌ دون الله ﷻ، وقاتَلهم النَّبي ﷺ لما بيَّن لهم حقيقةَ العبادة فلم يستجيبوا له.

وقوله: (فِي زُمْرَةِ الأَنْوَاكِ) يعني في زُمرة الحمْقى، فالأنْوَك هوالأحمق، (((مُعَظِّمٌ لِلرُّوحِ) الرُّوح هو جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)).






سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

قال النَّاظِمُ وَفّقَهُ الله:

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

٣٩- الشِّـرْكُ فِي الأَعْصَارِ ذي الأَخِيرَهْ أَصْـحَابُهُ ذَلُّـوا أُولي الجَرِيـرَهْ

٤٠- لأَنَّهُـمْ فِي كُـلِّ شِرْكٍ سَـبَقُوا أَضْرَابَهُـمْ فَغَـيرُهُمْ مُسْـتَبَقُ

٤١- فَـالأَوَّلُونَ مُشْـرِكُونَ فِي الرَّخَـا وَهَـؤُلَاءِ شِرْكُهُـمْ بِـلا ارْتِخَـا

ذكر النَّاظمُ وفَّقه الله في هٰذه القاعدة ((الرَّابعة)) الفرقَ بين شرْكِ المتقدِّمين وشرك المتأخِّرين، فإنَّ المتأخِّرين أربَوْا على الأوائل في شِركهم، واقتصر على ما ذكره صاحب الأصل من أنَّ الأوَّلين كانوا يشركون في الرَّخاء ويُخلصون في الشِّدَّة، وأمَّا هؤلاء فإنَّهم يشركون في الرَّخاء والشِّدَّة معًا، ((كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٦٥ ﴾[العنكبوت])). وهٰذا هو **الفرق الأوَّل** بين شرك الأوَّلين والمتأخِّرين.

(((الأَعْصَارِ ذي الأَخِيرَهْ) أي الأزمان المتأخِّرة، (أَصْحَابُهُ ذَلُّوا) أي هانوا (أُولي الجَرِيرَهْ) أي الفِعلة القبيحة))

والفرق الثَّاني أنَّ الأوَّلين كانوا يدعون مع الله الأنبياءَ والصَّالحين أو أحجارًا مطيعةً غير عاصية، وأمَّا المتأخِّرُون فيدعون من دون الله ﷻ من يُوصف بالفسُوق والفُجور ((ومن أمثالهم في بلد المصنف شمسان وإدريس ويوسف وغيرهم من أهل تلك الناحية وهم كانوا رجالا يذكرون بالسوء في الدين ومخالطة النساء وأنواع من الفجور، ومع ذلم يعتقد فيهم ويلتمس منهم ويدعون من دون الله ﷻ)).

ذكر هٰذا الفرق إمامُ الدَّعوة رَحِمَهُ اللهُ تعالى في كتاب «كشف الشُّبهات». ((وهٰذين الفَرْقين هما اللَّذان ذكرهما المصنِّف في كتبه، ووراء هذين الفَرْقَين فروقٌ أخرى:))

وثالثها أنَّ الأوَّلين كانوا يعتقدون أنَّهم مخالفون لدعوة الرُّسل، وأمَّا المتأخِّرُون فيزعمون أنَّهم موافقون لدعوة الرُّسل.

والفرق الرَّابع أنَّ المتأخِّرين يروْن أنَّ التَّعلُّق بالصَّالحين ودعاءهم من حقِّهم، ولم يكن المتقدِّمُون يزعمون ذلك.

والفرق الخامس أنَّ شرك الأوَّلين جُلُّه في الألوهيَّة، وأمَّا المتأخِّرين فشِرْكُهم مستفحلٌ في الرُّبوبيَّة والألوهية والأسماء والصِّفات.

والفرق السَّادس أنَّ المشركين الأوَّلين كانوا يعظِّمُون اللهَ ويعظِّمون شعائرَه، وأمَّا المتأخِّرون فإنَّهم لا يعظِّمون الله حقَّ عظمته، ولا يعظِّمون شعائره، فلم يكن المشركون الأوَّلون يجرؤون على الحلفِ بالله مع كذِبهم، وأمَّا



المتأخِّرون فإنَّه إذا أُريد أحدهم يحلف بالله كذبًا حلف، فإنْ أريد أن يحلف بمعظَّمهم من الصَّالحين امتنع من ذلك، ولم يكن الأوائل يعتقدون أنَّ شعائر الله كالبيْت الحرام وغيره أنَّها أفضلُ من مشاهد معظَّميهم كاللَّات ومناه والعزى، وأمَّا المتأخِّرون فصار فيهم من يعتقد أنَّ من المشاهد والمزارات ما هو أعظم من بيوت الله ﷻ.

ومنها أنَّ الأوَّلين لم يكونوا يعتقدون -**السَّابع**- أنَّ معبوداتهم لها التَّصرُّف الكُلِّي العام، وأمَّا هؤلاء المتأخِّرون ففيهم من يعتقد في معبداتِهم ممَّن يعظِّمُون التَّصرُّف الكُلِّي العام حتى قال بعضهم: إنَّ النَّملة لا تدخل بلاد كذا وكذا إلَّا بإذنٍ وليِّها فلان، وهٰذا شركٌ ما جاء فيه الأوَّلون، فلم يكن الأوَّلون يعتقدون أنَّ الوليَّ المعظَّم من صالحيهم يتصرَّف هٰذا التَّصرُّفَ الكُلِّيَّ العام.





قال النَّاظِمُ وَفَّقَهُ الله:

الخَاتِمَةُ

٤٢- فَــأَدْرِكَنَّ هَــذِهِ القَوَاعِــدَا لِتَغْــنَمَ العُلُــومَ وَالفَوَائِــدَا
٤٣- مَــعْ دَعْــوَةٍ بِــالخَيرِ لِلْإِمَــام تَعْــدَادَ هَاطِــلٍ مِــنَ الغَــمَام
٤٤- أَكْمَلْتُهَــا بِطَيْبَــةَ الْمُطَّيَّبَــهْ حَــالَ اشْــتِغَالِي بِــالعُلُومِ الطَّيِّبَــهْ
٤٥- وَمَــا بَرِحْــتُ نَظْمَهَــا مُنَقِّحَــا حَتَّــى تَبَــدَّى حُسْــنُهَا مُرَجَّحَــا
٤٦- فَالحَمْــدُ لله عَــلَى الإِتْمَــام مَــا شَــعَّتِ الأَضْــوَاءُ فِي الظَّــلام

وَكَتَبَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الله بنِ حَمَدٍ العُصَيْمِيّ

غَفَرَ الله لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِـمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

الثَّالِثَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ١٤١٩

ذكر النَّاظم في هٰذه (**الخَاتِمَة**) الأمر بالحثِّ على إدراك هٰذه القواعدَ ليَغْنَمَ الطالبُ العلومَ والفوائدَ؛ لأنَّ معرفة القواعد تعين على ضبط العلوم، فمن جمع علمه بالقواعد استفاد، ومن ضيَّع العنايةَ بالقواعد فاته علمٌ كثير، فالقواعد جامعة لأصول المسائل التي ينتفع بها الإنسان، كما قال الشَّيْخُ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ تعالى في نظمه:

وَبَعْــدُ فَــالْعِلْمُ بُحُــورٌ زَاخِــرَهْ لَــنْ يُــدْرِكَ الكَــادِحُ فِيــهِ آخِــرَهْ
لٰكِــــنَّ فِي أُصُــــولِهِ تَسْــــهِيلَا لِنَيْلِــــهِ فَــــاحْرِصْ تَجِــــدْ سَــــبِيلَا

يعني احرص على أُصول العلوم وقواعدها كي تنال العلم بها.

ثُمَّ أوصى بالدُّعاء للمصنِّف الذي صنَّفَ الأصل وهو إمام الدَّعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب (تَعْدَادَ هَاطِلٍ مِنَ الغَمَامِ) يعني تعداد ما يهطل من ((السَّحاب))، والمقصود أن يدعو له الإنسان كثيرًا، وإلَّا لو قال الإنسان: اللَّهمَّ اغفر له تعداد هاطلٍ من المطر. فإنَّ هٰذا دعاء واحد، لٰكِن المقصود الحق على ذلك، ولذلك بعض النَّاس يقول: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد ألف مرَّة. هٰذه لا تكون إلَّا مرَّة، وبعض النَّاس يقول: آمين ألف مرَّة. هٰذه لا تكون إلَّا مرَّة فقط، فالعدد إنَّما يُقصد به التَّكثير في الحثِّ عليه، وإذا قاله الإنسان مرَّة واحدة ما لم يكرره.

ثم ذكر أنَّ تمام هٰذه المنظومة كان بطيبة المطيَّبة يعني مدينة النَّبيِّ ﷺ وبه طُيِّبت، ((في التاريخ المذكور في النظم)) حال اشتغال ناظمها بالعلوم الطَّيِّبة النَّافعة تحصيلًا ((آنذاك طالبًا))، وما برح ينقِّح ذلك النَّظم (حَتَّى تَبَدَّى حُسْنُها مُرَجَّحَا) ((أي مقطوعًا برجحانه، فإنَّ الرَّأي الخمير خير من الرَّأي الفطير، ومن إعمال هٰذه القاعدة أن يتأنَّى المرء في مقيَّداته من التَّأليف المنظوم أو المأثور؛ لأنَّ تأنِّيه يُعقب عاقبةً حسنة فيحمد ربَّه على عدم مبادرته على تعجيل إخراجه، فإنَّ النَّفس تحبُّ أن ترى موضعها، وفي إبراز ذلك وُجدان هٰذا المعنى لٰكِنَّ قهرها ابتغاء



طلب الأكمل هو الَّذي ينبغي أن يكون عليه طالبُ العلم، مستصحبًا في ذلك نصيحة الكُمَّل في الدِّين والعقل من أشيَاخه حتَّى يقع كلامه موقعه الذي يرجوه، والمرءُ في تصنيفه وكلامه في العلم ينبغي أن يجعله عبادةً عظيمةً إذ هي من ميراث النُّبوَّة، ولم تكمل النُّبوة لأهلها إلَّا لصفاء نفوسهم وكلام إخلاصهم، فالوارثُ لهم ينبغي أن يجتهد في إلتماس هٰذا في نفسه، وبهذا يظهر نفع كلامه مما يُسمع منه أو مما يكتب تأليفًا وربَّما امرئ لم يكتب إلَّا كتابًا واحدا شهر عنه وبقي ذكره بين العالمين، فإخلاص النيَّة وحسن القصد إذا اقترن بجودة التأليف كتب الله ﷻ به حيرا كثيرا، من لطائف أبي الفرج ابن الجوزي في «صيد الخاطر» عده التصنيف ولد العالم المخلَّد، فولدك الذي لا ينقطع به ذكرك إن لم تعقب هو ما تنفع به المسلمين من التَّصانيف أو التَّآليف أو ما تُخرِّجه فيهم من التَّلاميذ والمتعلمين. ثم ختم بـ:))

(فَالحَمْـــدُ لله عَـــلَى الإِتْمَـــامِ مَاشَـــعَّتِ الأَضْـــوَاءُ فِي الظَّـــلامِ)

((أي ما سرت وتبدَّت مُشعَّة الأضواء في الظلام)) وهٰذا آخر بيان مقاصد هٰـذه المنظومـة عـلى وجـه الإيجـاز، وتقدَّم إقراء أصلها وهو «القواعدُ الأربع» في غير هٰذا الموضع فمن التمسه وجده.

